مخطوطـات علمـاء كنته
في خـزائن الصحـراء الكبرى

أ. أحمد الحمدي
كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية
جامعة وهران

تـــقديـــم:

إن مفهوم الصحراء كما لاحظه الكثيرون، ليس واحدا عند المؤرخين المسلمين وغيرهم من الغربيين . والجميع يفرّق بين العمران والخلاء ويفرد الخلاء باسم الصحراء،[1] وبخاصة الصحراء في أقصى الجنوب من بلاد شنقيط والتوارق إلى السودان الغربي.[2] أما الجغرافيون الغربيون فانهم يتحدثون عمّا يسمونه بالصحراء الكبرى بين الأطلس الصحراوي والسودان من المحيط إلى تخوم مصر.[3]

وستبحث هذه الدراسة حول النتاج العلمي لقبيلة كنته الصحراوية و التي كان لها الدور الكبير في إسلام الزنوج خلال عقود طويلة.[4] وينحدر أفراد هذه القبيلة من عقبة بن نافع الفهري الفاتح الكبير. والقبيلة تنتشر الآن في مساحات شاسعة من توات، وتيديكلت، إلى شنقيط ،وكذلك بساحل السودان الغربي،

---

[1] الحسن الوزان،وصف إفريقيا،ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر،الشركة المغربية للناشرين المتحدين الرباط ودار الغرب الإسلامي بيروت،ط الثانية 1983،ج2 ،ص :112.

[2] E f Gautier. le Sahara BAYOT PARIS 1950 PP 9- 35

[3] A G P MARTIN QUATRE SIECLES D'HISTOIRE MAROCAINE EDITIONS LA PORTE PARIS 1923 P 01

[4] مصطفى أبو ضيف، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين،مطبعة دار النشر المغربية الدار البيضاء المغرب ،ط الأولى 1982،ص :269.

والسنغال. ولذلك سيقتصر الباحث على التطرق إلى مخطوطات علماء هذه القبيلة، بمنطقة تيديكلت وهقار وأزواد. وهي المناطق التي يوجد بها الكثير من الآثار العلمية .

علم المخطوطات :

المخطوطات بمثابة الكنز ،ولذلك ورد في تفسير قوله تعالى: (و أما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما)[1].إن المراد بالكنز ألواح علم كانت مخبأة ،وهذه الرسالة زادها الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه وضوحا عندما قرّر بأن العلم أفضل من المال،فالمال يحرسه الإنسان ،بينما العلم يحرس الإنسان.[2]

ويبحث علم المخطوطات الحديث في تاريخ المكتبات ، وفي مصادر المخطوطات ، وفي الفهرسة وفي النسخ والنسّاخ وفي الجوانب المادية للمخطوط، وفي كل ما هو خارج عن النص .إن التفتيش عن المخطوطات وفهرستها وتاريخها والبحث في مضانها يعد المرحلة الأولى في الدراسة سواء لدى عالم المخطوطات الذي يهتم بالمخطوط كقطعة مادية ،أو بالنسبة للباحث اللغوي الذي يسعى إلى نقد نص المخطوط و نشره .[3]

البحث عن المخطوطات:

إن البحث عن المخطوطات و جمعها تعتبر المرحلة الأولى التي يمر بها الباحث الذي يريد أن يحقّق مخطوطة معينة. وهنا يلجأ الباحث إلى فهارس المخطوطات.[4] وقد وضعت عدة مؤلفات عن ذلك من قبل المتخصصين[5] . وفي عالم المخطوطات لا يمكن لشخص بمفرده إنجاز ما يسعى إليه، ويبقى العمل الجماعي يحتل الصدارة فوق كل شيء.[6]إن طائفة من الجمّاعين قد كوّنوا لأنفسهم ،منذ عهد بعيد، مجموعات من الوثائق الأصلية و المنسوخة، اقتنوا بعضها بالمال، وبعضها بوسائل مريبة.[7]

---

[1] سورة الكهف، الآية 82.

[2] جاسم الياسين وعدنان الرومي،المرشد الوثيق إلى مراجع البحث و أصول التحقيق،دار الدعوة الكويت ودار الوفاء مصر،ط الثالثة 1992،ص :99.

[3] أحمد شوقي بنبين،علم المخطوطات والتحقيق العلمي،مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق،عدد يناير 1993م،ص :1981.

[4] كامل حيدر، منهج البحث الأثري و التاريخي ،دار الفكر اللبناني بيروت، ط الأولى 1985،ص :155.

[5] يمكن للمهتم أن يطالع الكتاب الجيد الذي وضعه كراتشكوفسكي وسماه: مع المخطوطات العربية ،دار التقدم موسكو،دون تاريخ.

[6] أرنست كاسيرد، في المعرفة التاريخية ،ترجمة أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط الثانية 1997،ص :54

[7] لانجلواوسينوبوس وآخرون، النقد التاريخي، ترجمة عبد الرحمان بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، ط الرابعة 1981، ص:9.

علم الوثـــــائق:

التاريخ يصنع من وثائق. والوثائق هي الآثار التي خلفتها أفكار السلف وأفعالهم. والقليل جدا من هذه الأفعال هو الذي يترك آثارا محسوسة ،إن وجدت فنادرا ما تبقى؛ لأن عارضا بسيطا قد يكفي لزوالها. وبفقدان الوثائق صار تاريخ عصور طويلة من ماضي الإنسانية مجهولا أبدا. إذ لابديل عن الوثائق.[1]

من الأفضل أن تكون الوثائق مصونة في مجموعات تملكها مراكز متخصصة، من أن تكون عرضة لتقلبات الأحداث والأيام أو بعيدة تماما عن الاستطلاع العلمي. ويجب أن تكون مجاميع الوثائق من المنافع العامة. ومن المرغوب فيه من حيث المبدأ، ألاّ تكون مستودعات الوثائق كثيرة العدد جدا. والوثائق التي تضمها المستودعات، والخزائن، التي لم تفهرس هي وثائق كأنها ليست لكل الدارسين. بيد أن عدم وجود أثبات وصفية بخزائن الوثائق معناه عمليا استحالة العلم بوجود وثائق، اللّهم إلا مصادفة. ومن الواجب أن يحيط العلماء المحصّلون، والمؤرخون وبخاصة الناشئة منهم، إحاطة دقيقة بحال أدوات البحث التي في متناولهم، و أن يكونوا على علم متجدد بما يدخل على هذه الأدوات من إصلاح[2]. و يجب أن أشير هنا أن الوثائق في المعنى العام تدل على كل الأصول التي تحتوي على معلومات تاريخية.[3] دون أن ينحصر ذلك فيما دوّن منها على الورق .

النســـخ:

يجب الاهتمام بدراسة حياة النسّاخ ووضع قوائم لهم،[4]والبحث في سلوكهم و إخضاعهم بحسب الإمكان لما يسمى عند المحدثين لنظرية الجرح والتعديل للتأكد مما ينسخون. إن هذه الدراسات يفتقر إليها تراثنا العربي الإسلامي، ومفروض القيام بها عمليا قبل الاهتمام بعملية التحقيق العلمي. وأصبح لازما التفكير في إنشاء معهد لدراسة وتدريس علم المخطوطات، وتكوين مختصين في هذا العلم، قادرين على الاهتمام والعناية بأضخم تراث مخطوط عرفه تاريخ الإنسان. إن الأعمال العلمية والتقنية التي سيقوم بها علماء المخطوطات في مجال المخطوط العربي ستفيد الباحثين المهتمين بالتحقيق أيّما إفادة، وإن النتائج

---

[1] المرجع نفسه، ص :5.

[2] المرجع نفسه.

[3] قاسم يزبك،التاريخ و منهج البحث التاريخي، دار الفكر اللبناني بيروت، ط الأولى 1990، ص :53.

[4] و هو تقليد قديم سبق إليه:محمد بن إسحاق النديم في كتابه الفهرست،ص ص518-548 .أنظر:محمد بن إسحاق،الفهرست،حققه مصطفى الشويمي ،الدار التونسية للنشر و المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، ط 1985.

التي سيفضي إليها هذا النوع من البحث من شأنها أن:" تعطي وجها آخر للنصوص التي اعتمدت حتى الآن في استخلاص النتائج وإصدار الأحكام"[1]و يمكن للمتمرس في علم المخطوطات أن يلاحظ الفرق بين العديد من النسخ التي بين يديه. و يستطيع أن يميّز بين نسخ خالية من إشارات العلماء، ولكنها تمتاز بأنها أصلح متنا وأكمل مادة ، يظهر ذلك لدارسها وفاحصها.[2]

أهمية الكتب الفقهية في الكتابة التاريخية:

وطبيعي أن يجد المؤرخ في كتب الفقه بيانات كثيرة عن أحوال الشعوب الإسلامية ونظمها ، ولا سيما أن الفقهاء يتّجهون في بحوثهم إلى كافة طبقات الشعب والى الجوانب المختلفة من حياة المسلمين، فلا عجب إذا كانت مؤلفاتهم غنية بالإشارات إلى مستوى المعيشة والأحوال الاجتماعية والاقتصادية والمالية، والى الأخلاق والعادات، وإلى البدع المنتشرة بين أفراد المجتمع.[3]وهي تشير إلى الأحوال التي كان المسلمون يعيشونها والمشكلات التي تطرأ في حياتهم.

أماكن تواجد مخطوطات علماء كنته في الصحراء:

وسيقتصر الباحث هنا على ذكر الخزائن المتواجدة على امتداد تيديكلت حتى أزواد مرورا بهقار. ويجب أن أشير في البداية إلى الدراسات التي أنجزت عن مخطوطات علماء كنته في السابق. ومنها بحث حسن الصادقي والذي تحدث فيه عن مؤلفات الكنتيين المخطوطة في المغرب. بحيث عثر على نسخ جديدة لم يشر إليها الأستاذ المنوني، ومنها رسائل جديدة للكنتيين.[4] بالإضافة إلى الدراسات التي قام بها الأستاذ مأمون محمد أحمد، والباحث محمد محمود ولد ودّادي، والشيخ بادي بن باي بن باب. وسأبدأ بخزائن منطقة تيديكلت:

1- خزانة سيدي أحمد العالم: مؤسس هذه الخزانة هو قاضي الجماعة بأولف في فترة الاحتلال الفرنسي. لا تعرف سنة مولده غير أنه توفي سنة 1942م. بعد عمر حافل بالتدريس والإصلاح. وقد وضع فهرس مخطوطات خزانته بتاريخ 5 ذو القعدة 1318هـ الموافق لـ 24 فبراير 1901 م ، وهي تحتوي على

---

[1] أحمد شوقي بنبين،علم المخطوطات والتحقيق العلمي، ص:250.

[2] عبد السلام محمد هارون ، تحقيق النصوص و نشرها، مكتبة السنة القاهرة ، ط الخامسة 1410هـ ، ص: 37.

[3] سيدة إسماعيل كاشف، مصادر التاريخ الإسلامي و مناهج البحث فيه ،مكتبة الخانجي القاهرة ، ط الثانية 1976، ص: 78.

[4] حسن الصادقي ، مخطوطات في موضوع فاس و إفريقيا ،ندوة فاس و إفريقيا الدولية ، نظمها معهد الدراسات الإفريقية وكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، فاس –28–30 أكتوبر 1993، مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ، ط الأولى 1996، ص: 14.

أربعة وثلاثين صفحة من الحجم المتوسط، وتضم العديد من العلوم. غير أنه يلاحظ أن كل المخطوطات الكنتية تمت إعارتها و لم ترد إلى الخزانة و بقي منها فقط:

- المختار الكبير الكنتي، جمل وجيزة ومفيدة على تفسير فاتحة الكتاب، وقد تعرّض إلى المحو في آخره بسبب مياه الأمطار.

2- **خزانة الطالب داده سيدي أحمد:** وهو الذي تولى خطة القضاء بعد وفاة سيدي أحمد العالم، وبها من المخطوطات علماء كنته:

- المختار الكبير الكنتي، مخطوط في الأحكام والوثائق، وقد تعرضت أوراقه الأخيرة إلى التلف بسبب مياه الأمطار.

3- **خزانة الشيخ باي بأولف:** مؤسس هذه الخزانة هو الشيخ محمد بن عبد القادر بلعالم الملقب بباي، وبها من المخطوطات:

- المختار الكبير الكنتي، نزهة الراوي وبغية الحاوي، وهو في الأصول والفرائض والفروع والأحكام، يقع في 21 بابا و عدد صفحاته 470، ناسخه اماد بن جدو بن الطالب عثمان.
- محمد الخليفة الكنتي، الطرائف والتلائد في مناقب الشيخين الوالدة والوالد، ويشتمل على تاريخ المختار وشيوخه . وقد رتّبه على مقدمة وسبعة أبواب.[1]
- المختار الكبير الكنتي، فتح الودود في المقصور والممدود، ويقع في 462 صفحة، ناسخه الطالب بركة بن محمد بن الناجم بن أحمد بن محمد.
- محمد بن بادي الكنتي، بلوغ الغاية على الوقاية ، وهو في اللغة العربية. ويقع في 290 صفحة أوراقه من الحجم المتوسط.
- المختار الكبير الكنتي،بغية النبيل على بيان جمل التسهيل، و هو في اللغة العربية.
- محمد الخليفة الكنتي،الروض الخصيب في شرح نفح الطيب في الصلا ة على النبي الحبيب، وهو في العقيدة والتصوف، ويقع في 690 صفحة.
- المختار الكبير الكنتي، الجرعة الصافية والنفحة الكافية، وهو في الإخلاص، وهو سفر كبير. ناسخه علي بن محمد بن عبد القادر بن حسان بن الشيخ.

---

[1] عبد السلام بن سودة، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، دار الفكر بيروت، ط الأولى 1997، ص ص:145-146.

❋ ا لمختار الكبير، نصيحة لبعض الاخوة ، وهي في الإرشاد و التوجيه .

4- خزانة الحاج محمد برمكي: مؤسسها هو مفتي و إمام مدرس بزاوية مولاي هيبة بأولف . و يوجد بها من المخطوطات الكنتية:

❋ المختار الكبير، زوال الإلباس في طرد الوسواس الخناس، يتحدث فيه عن المواطن التي يأتي الشيطان منها ابن آدم، وعن أسرار الصلاة. ويقع المخطوط في 58 صفحة من الحجم الكبير.

❋ المختار الكبير، الجرعة الصافية والنفحة الكافية.

❋ المختار الكبير الكنتي، نفح الطيب في الصلاة على النبي الحبيب.

5- خزانة زاوية أبي نعامة الكنتي بأقبلي: أسس هذه الخزانة الشيخ محمد بن عبد الرحمان الملقب بأبي نعامة المولود عام 1060هـ، وهو شيخ ركب الحج السوداني لما يصل إلى توات. ومن المخطوطات الموجودة بها:

❋ نصائح للشيخ المختار وولده محمد في التصوف.

❋ المختار الكبير، بغية النبيل في بيان جمل التسهيل.

❋ المختار الكبير، كشف الشبهات بالبراهين و البينات.

6- خزانة المنصور بأقبلي: وهذه الخزانة بحوزة عائلة الأنصاري ، ومؤسس هذه الخزانة هو الحاج محمد بن الحاج علي الأنصاري. وبها من المخطوطات:

❋ المختار الكبير، فقه الأعيان.

❋ المختار الكبير، نضار الذهب من كل فن منتخب.

❋ جذوة الأنوار في الدفع عن أولياء الله الأخيار.

❋ المختار الكبي، فتح الوهاب في الفقه.

❋ المختار الكبير، الكوكب الوقاد على شرح الأوراد، و هو في التصوف.

❋ شرح المقصور والممدود.

❋ الجرعة الصافية والنفحة الكافية.

* قصائد لسيدي أحمد البكاي الكنتي في أغراض مختلفة ، ومعها قصيدة للمختار الكبير.

* رسالة لسيدي أحمد البكاي بعثها إلى ابن عمه سيدي أمحمد بن بابا أحمد. و تقع في 12 صفحة.

7- **خزانة الطالب التهامي بأركشاش:** مؤسسها هو محمد التهامي بن عبد القادر توفي بتمنغست سنة 1982م وقد نسخ أغلب مخطوطاته بخط يده. وبها من المخطوطات:

* المختار الكبير،البرد الموشّا في قطع المطامع والرّشا، وهو من الحجم الكبير.

* زوال الإلباس في طرد الوسواس الخناس.

8- **خزانة سيد العابد بأقبلي:** و تدعى بيت العود و بها من المخطوطات:

* قصيدة للأديب اللغوي سيد المختار بن محمد الأمين بن المختار الرقادي الكنتي.

* رسالة من المختار بن أحمد الكنتي إلى أبناء محمد الزناتي.

* المختار الكبير، الشموس الأحمدية في العقائد المحمدية.

وتجب الإشارة إلى أن مخطوطات خزائن تيديكلت تعرضت للعديد من الأخطار منها الأرضة ومياه الأمطار، خاصة مع هشاشة النمط العمراني. ومن الخزائن التي تضررت كثيرا خزانة الشيخ بن مالك التي يوجد بها المئات من المخطوطات، والتي تعتبر في مرحلتها النهائية. وكذا خزانة ولد سيد الدولة بزاوية حينون، وخزانة الطالب عباسي سيدي أمحمد بالجديد.

مخطوطات منطقة هقار: وأهم الخزائن هي:

1- **خزانة فيلي موسى:** وضع أساس هذه الخزانة الطالب التهامي بن عبد القادر. و أهم مخطوطاتها:

* الشيخ باي بن عمر، النوازل.

* المختار الكبير، الجرعة الصافية.

* محمد بن بادي، النوازل.

* المختار الكبير، نضار الذهب.

* نزهة الراوي.

* زوال الإلباس.

❋ الأجوبة المهمة لمن له بأمر الدين همة.

2- خزانة الشيخ أولاد البكاي: مؤسس هذه الخزانة هو ابن محمد بن بادي. و هي بقطع الواد، وبها من المخطوطات:

❋ المختار الكبير، زيل الكوكب الوقاد، ويقع في 140 ص من الحجم الكبير.

❋ شرح الاسم الأعظم، وهو من الحجم الصغير.

❋ زوال الإلباس.

❋ محمد بن بادي، شرح الوظيفة الزروقية.

❋ محمد الخليفة ، مطلع شموس العارف، وتعرض لعوامل التعرية، وهو بخطه رحمه الله.

3- خزانة الشيخ حيمد: مؤسسها لا يزال يمارس التدريس بزاويته بوسط تمنغست. وبها من المخطوطات الكنتيه:

❋ المختار الكبير ،المنّة في اعتقاد أهل السنة.

❋ البرد الموشا.

❋ الشيخ باي بن عمر الكنتي، شرح صحيح البخاري.

و توجد مخطوطات أخرى للكنتيين عند الأفراد بتمنغست، منها :

❋ فقه الأعيان، للمختار الكبير، لدى ولد الطالب ناجم.

❋ العلم النافع، للمختار الكبير، وكشف الشبهات له أيضا، بحوزة الشيخ التهامي عبد الوهاب.

❋ نوازل الشيخ باي،لدى الطالب محمود صديقي.

وبمنطقة أزواد توجد العديد من الخزائن أهمها الخزانة المتنقلة، وهي على ظهور الجمال لدى البدو الرحل من الكنتيين وغيرهم. وهي تضم الكثير من المخطوطات الكنتية. وقد تعرّض العديد منها للتلف والضياع بسبب الأوضاع السيئة العامة للبدو. ومن المشاكل التي تواجه الباحث، هي صعوبة تحديد أماكن تواجدها، لأن أصحابها يتتبعون الكلأ ومواطن الانتجاع.

مركز المختار الكبير الكنتي للبحث والتوثيق بجاو:

أسس هذا المركز الشيخ بن اهمادة، والشيخ بادي بن سيدي محمد بن البكاي، و سيدي عمر بن هني بن السويد، و السيد بن بيلا بن عابدين الفرد، وكلهم ينتمون لقبيلة كنته[1]. والشيخ بن اهمادة هو تلميذ الشيخ حيمد وقد أخذ منه الإجازة في علوم الحديث والقراءات. ويحتوي هذا المركز على أغلب المخطوطات الكنتية. وقد مارست الطريقة المختارية الكنتية دورا بارزا في الصحراء الكبرى. و هذا ما سهّل انتقال العديد من المخطوطات من بلادنا إلى البلدان المجاورة. خاصة وأن هذه البلدان قامت بتأسيس مراكز متخصصة في الوثائق.

و يضم هذا المركز العديد من المخطوطات أهمها:

- المختار الكبير، الحجة الباهرة في تفسير البسملة.
- هداية الطلاب، و هو مختصر فقهي في مذهب الإمام مالك.
- لطائف القدسي في آية الكرسي.
- المختصر الجامع لما تدعو إليه الحاجة من الحر والعبد والمرأة والصبي.
- الممزوج بين الشريعة و الحقيقة.
- كشف اللبس فيما بين الروح و النفس.
- يتيمة الآلي في الرد على علماء تنيالي.
- كشف النقاب عن فاتحة الكتاب.
- نصيحة المنصف المبصر المتعطف.
- الرسالة في التصوف.
- جنة المريد.
- ألفية في العربية
- الذهب الإبريز في التفسير.

[1] هذه المعلومات مأخوذة عن مطبوعة صادرة عن المركز بتاريخ 1999.

- كشف الغمة.
- الأجوبة اللدنية.
- شرح القصيدة الفيضية .
- الأجوبة الشافية.

إن المخطوطات في الصحراء تتعرض للعديد من التحديات، ففي تيديكلت كانت نكبة 1965م وبالا على المخطوطات. حيث طمس العديد منها، بالإضافة إلى الأرضة. والشيء نفسه يقال عن مخطوطات هقار. وقد خسرت الجزائر آلاف الوثائق والتي تمّ تهريبها إلى الأقطار المجاورة. وقد لحقت العديد من الأضرار بالمخطوطات من جراء تعامل الباحثين الهواة ، الذين يجهلون طرق وكيفية استغلال مادتها.

لقد تبين من البحوث السابقة مدى تأثير الحرارة على المخطوطات . فازدياد الحرارة على 25 درجة مئوية يؤدي إلى جفاف الأوراق وفقدان الرطوبة منها، وهذا بالتالي يؤدي إلى تكسرها وضياع ألوان الحبر المستعمل، و تشقق الجلود بحيث يصبح المخطوط غير صالح للتناول والمطالعة. وتساقط مياه الأمطار على المخطوطات يؤدي إلى تلاصق الأوراق والتوائها وتغير لونها، ونمو الفطريات فيها[1].وهذه بعض الاقتراحات لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من هذه الوثائق:

1- تأسيس معهد متخصص في علم المخطوطات يقوم بتكوين متخصصين في المحافظة على الوثائق.

2- إقامة أيام تحسيسية لأصحاب الخزائن، للفت الانتباه إلى قيمة ما يملكون.

3- تأسيس مخبر وطني لترميم المخطوطات وصيانتها، وتكون له فروع في الأماكن التي تتواجد بها العديد من الوثائق.

4- توحيد عمليات فهرسة المخطوطات وفقا لتقنيات يتفق عليها، ويلزم باستخدامها مما يساعد على إمكان تبادل معلومات الفهرسة.

وهكذا فان الحديث عن المخطوطات في الصحراء يثير في النفس الاعتزاز والشفقة، أما الاعتزاز فهو في احتضان هذه المنطقة لأعداد هائلة من المخطوطات، مما يشير إلى مكانة العلماء العرب المسلمين في دفع عجلة الحضارة الإنسانية. وأما الشفقة ففي وضع تلك المخطوطات حيث أنها تحتاج إلى الكثير من الإمكانيات لإنقاذها ومن الواجب بذل الجهد والمال للحفاظ عليها.

---

[1] راشد بن سعد القحطاني، خدمات المخطوطات العربية في مكتبات مدينة الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض، ط 1996، ص:132.